الفصل الرابع

النموذج الرابع
التربية من أجل إعداد الفرد للحكم
من التراث الرومانى القديم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع
النموذج الرابع
التربية من أجل إعداد الفرد للحكم
من التراث الرومانى القديم

مقدمة :

مرت الدولة الرومانية بأربع فترات تاريخية على النحو التالى:

أ- عصر النشأة .

ب- عصر الجمهورية .

ج- عصر الأمبراطورية .

د- عصر الاضمحلال والأنقسام .

ويمتد عصر النشأة من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وفيه تفوق العنصر اللاتينى على الأجناس الأخرى التى كانت تشاركه فى استيطان شبه الجزيرة الإيطالية بادئ الأمر وتمكن هذا العنصر من تأسيس مدينة روما عام ٧٥٣ ق.م كما تمكن من الانتصار على القبائل الاتروسكافية واليونانية وغيرها بعد حرب داخلية دامت قرابة قرنين ونصف من الزمان وانتهت عام ٢٧٥ ق.م بتوحيد كافة أنحاء البلاد تحت زعامة روما.

ويمتد عصر الجمهورية إلى القرن الأول ق.م وفيه تطلعت روما إلى السيادة الخارجية وبسط نفوذها الخارجى وتم لها السيطرة على أملاك مقدونياً وفرطاجنة بعد معركة (زامل) عام ٢٠٢ ق.م واستمرت تتوسع حتى صارت سيدة البحر المتوسط بل العالم المتمدن حينذاك .

obeikandl.com

ويمتد عصر الأمبراطورية حتى القرن الثالث الميلادى، وفيه أصبحت الأمبراطورية الرومانية أعظم وحدة حضارية وسياسية عرفها التاريخ وضمت بين حدودها جميع مراكز الحضارة القديمة باستثناء فارس والهند. وفى هذه الفترة صدرت التشريعات والقوانين لتناسب الشعوب المحكومة مثل قانون تنظيم حكم الولايات وقوانين جباية الضرائب وقانون الجيش وقانون الطرق إنشاء المستعمرات للمواطن الرومانى وقوانين خاصة بالقضاء .

ويمتد عصر الاضمحلال من القرن الثالث الميلادى وأنتهى فى منتصف القرن الخامس الميلادى. وفيه تعرضت الامبراطورية لغزوات القبائل الجرمانية البربرية المجاورة. حتى أقامت هذه القبائل ست ممالك فى غرب أوروبا على أنقاض الامبراطورية المتهالكة. وبطول عام ٤٧٦م ساد عصر مظلم شمل الحياة عاصمته روما. والثانى فى الشرق عاصمته الفسطنطينية (الدولة اليزنطية) .

العوامل والقوى الثقافية المؤثرة فى تربية الإنسان الرومانى :

١-العوامل الدينية :

كان الرومانيون شعباً عملياً نفعياً يبحث عن الوسائل المحققة للمثل العليا، وقاسوا قيمة الأشياء بمدى منفعتها بالنظر إلى علاقته بنظام الحياة القائم. وبهذا ظهروا على أنهم واقعيين فى تقديرهم لقيم الأشياء، قساة فى وضع مقاييس السلوك حتى قيل عنهم أنهم احتفظوا دائماً برجولتهم.

"The Roman Were Always Men"

كانت الآلهة الرومانية غامضة خالية من المشاعر الإنسانية فهى لا تشارك الناس عواطفهم ولا تشاركهم وجدانياً. فلم يكن للدين إلا أثر ضئيل من الناحية العقلية والجمالية فى تربية الرومان. ومع أن ديانتهم لم تخل من الخرافات إلا أنها كانت ذا طابع أخلاقى فقد رفعت من شأن العلاقات الأسرية وعملت على تنمية الشعور بالواجب واحتفظت بقدسية الإيمان والعهود وقدست حب الوطن. هذه الصفات فى حد ذاتها كانت تكفى لتوضيح فعل الدين على التربية الرومانية .

٢-العوامل الاجتماعية :

فى الأيام الأولى من عصر النشأة كان كل رومانى فرحاً وكان قيامه بعمله على انوجه الأكمل. وإدارته لمزارعه من دواعى فخره. وقد كانت هذه الناحية وهذا النشاط من الأهمية بمكان لدى الرومان إذ أنهم عندما عملوا على رفع مستوى التربية أطلقوا على هذه العملية مصطلح Cultura أى الاسم الذى أطلقوه على الزراعة وهذا يفسر أن التربية لديهم كانت تعمل فى حياتهم العقلية والروحية بمثل ما كانت تعمله الزراعة فى حياتهم العملية لم يكن الرومان يكرهون الصناعة فقد كان أولاد الفقرا، يوجهون مهنياً فيعملون بالصناعة أو التجارة دون أن يمس ذلك حقهم كمواطنين. وفى أوائل عصر الجمهورية ظهرت أهمية التدريب على الأعمال المهنية فأصبحت مادة الحساب مادة أساسية فى المدارس وفى عصر الامبراطورية قام المسئولون بتوفير الحياة الكريمة للمواطنين الفقرا، فوزعوا عليهم الأطعمة حتى لا تنفرض هذه الطبقة أى طبقة المهنيين الأحرار الفقراء .

هدفت التربية الرومانية إلى تربية الأخلاق وبذا لم تصبح للمدرسة إلا مكانه ضئيلة باعتبارها مؤسسة مركزية واحتل البيت مكانتها حيث عظم

شأنه فسلطة الأب القوية كانت عاملاً من عوامل زيادة قيمته ووظيفته وجعلت من الأسرة وحدة اجتماعية. وبذلك تأكدت قيمة البيت الخلقية وكذلك وضحت أهميته القانونية والاجتماعية .

كان الأب مسئولاً عن إعداد الأبناء خلقياً وإجتماعياً كما احتفظت ألأم بمركز ذو استقلالية ومسئولية، فقد كانت رفيقة لزوجها فى النواحى الاجتماعية وشريكة له فى إدارة المنزل أكثر من المرأة اليونانية وكانت تتعهد أطفالها بالتربية ولا تعهد بتربيتهم إلى غيرها .

كان الإرتباط بين الواجبات والحقوق من أهم المبادئ الأساسية التى شكلت الفكر الرومانى، فالحياة تتمثل فى صور الواجب وفيما يرتبط به من حقوق. فالحياة محورها القانون وعلى ذلك فحقوق المواطن كانت لصالح الدولة والأسرة معاً إذ كان على المواطن فى عصر الجمهورية أن ينضم إلى أحدى اللجان أو المجالس العامة وكان عليه أن يحافظ على ممتلكاته. ويحرر العقود ويسجل وصيته فى أحدى هذه المجالس. وعليه أن يساهم بنصيب فى وظائف الدولة وعليه واجبات حربية يؤديها كجندى. كل هذه الواجبات فرضت على كل مواطن نظير ما تمتع به من مميزات. وكان دور المدرسة كما سبق القول ضئيلاً فى اعداد هذا المواطن مقيساً بدور الأسرة .

كما يلاحظ أن المجتمع الرومانى كان مجتمعاً طبقياً، فهناك الطبقة الارستقراطية أو طبقة النبلاء، وهى صفوة الأمة وتسيطر على مقاليد الأمور وتملك الأراضى الواسعة. وطبقة الفرسان . وقد دأب أفرادها على مجاراة الطبقة الارستقراطية فى مجال الحياة السياسية والعامة. وطبقة العامة. وكانت تنقسم إلى فريقين رئيسيين هما : عامة الريف وعامة الحصر أو عامة روما. أما عامة الريف فقد تكونوا من ثلاث فئات رئيسية وهى :

صغار أرباب الأراضى وفئة تتألف من مستأجرى بعض أراضى النبلاء، والفرسان وتبعاً لذلك كانوا اتباعاً لهم وفئة الأجزاء، الأحرار الذين يقومون بأعمال موسمية فى الصياع الكبيرة. أما عامة روما فكانوا أيضاً يتكونون من ثلاث فئات رئيسية أولاها اتباع النبلاء، والفرسان الذين عهدوا إليهم بممارسة حرفة لحساب سادتهم فكانوا صناع أو عمال أو موظفين يعملون لقاء أجر. وفئة المواطنين الذين لا تربطهم رابطة التبعية بأحد ويتكسبون قوتهم بجهدهم المتواصل فى أحد مجالات العمل الدنيا والفئة الثالثة هى فئة العاطلين أو أشباههم الذين لم يكن لهم مورد رزق منتظم. وكانت هذه الفئة أكثر الفئات عدداً وخطراً على الحياة العامة. أما العبيد فلم يكونوا جزءاً من المجتمع الرومانى لأنهم وفقاً لأحكام القانون لم تكن لهم شخصيات معنوية لأنهم لم يعتبروا أشخاصاً وإنما متاع كل أمره رهن بمن يملكه برغم الخدمات التى كانوا يقدمونها للأسر الريفية والحضرية. وقد كانت فرص عبيد الريف لاسترداد حريتهم نادرة بل منعدمة. وأما عبيد الحضر فإن فرصتهم كانت أفضل كثيراً لاسيما أن بعضهم كان يفوز بحريته لقاء، الأخلاص فى عمله والوفاء، لسيده .

أما المرأة فكانت تتمتع بمكانة عالية مرموقة إذ كانت تحظى بالتبجيل كما كانت متحررة من قيود العزلة المفروضة على نظيرتها اليونانية وكان يسمح لها بالاختلاط وممارسة الشئون العامة فى الدولة. كما كان للزوجة حق التصرف فى ممتلكاتها .

٣-العوامل الفكرية :

لا جدال أن الأغريق أصحاب فضل لا ينكر على الرومان فى تطوير حضارتهم . وكان لامتزاج الحضارتين الأغريقية والرومانية أثره فى ظهور

الحضارة الرومانية فى صدر القرن الأول ق.م وقد قيل أن الحضارة الرومانية لم تكن إلا الحضارة الأغريقية متخفية فى رداء رومانى وقد بلغ دين الرومان للأغريق أقصاه فى مجال الأدب والفن. وأدناه فى مجال العلوم مثل الرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية لأن الرومان لم يطهروا أى اهتمام جدير بالذكر فى مجال العلوم برغم مسايرتهم للأغريق فى الكثير من نواحى نشاطهم العقلى والفنى .

تربية الإنسان الرومانى القديم :

تبعاً للتقسيم التاريخى السالف ذكره. انحصرت التربية الرومانية فى عصور مماثلة. هى :

١- عصر التربية الرومانية الأولى .
٢- عصر التأثير الأغريقى .
٣- التربية فى العصر الأمبراطورى.
٤- التربية فى عصر الاضمحلال .

وفى العصر الأول (٧٥٣ - ٢٥٠ ق.م) لم تتأثر التربية الرومانية بمؤثرات خارجية. بل تميزت بالسمات الرومانية الخالصة. وفيه احتلت الأسرة مكانتها التربوية. فتعلم الإنسان الأخلاقيات بحيث صار ورعا وتقيا، وفورا محترماً، شجاعاً، حازماً، أميناً، واعتمدت الطريقة فى التربية على تقليد الكبار ومحاكاتهم ولا تعتمد على التلقين، فالأم يتعهد صغيرها إذا صار غلاماً تعهده أبوه بالتربية .

وفى أواخر هذ العمر اهتمت المدارس الأولية بتعليم مبادئ القراءة والكتابة والحساب. وكانت تعرف هذه المدارس باسم اللودى Ludi وهو مشتقة من كلمة Ludus بمعنى لعب أو رياضة بدنية .

وبعد أن تم فتح الرومان لبلاد الأغريق ظهر التأثير الأغريقى فى التربية الرومانية إذ نقلوا إلى بلادهم الأدباء والعلماء والمكتبات الأغريقية وترجموا الأوديسة إلى اللاتينية وزاد عدد المدارس المعروفة باسم مدارس علماء اللغة Grammatists.

وخلال العمر الأمبراطورى امتزجت الثقافة الرومانية بالثقافة الأغريقية دون أن يتخلص الرومان من مزاياهم فأدخلوا بعض التعديلات الملائمة للعقلية الرومانية على الأفكار اليونانية وعلى خواص تربيتهم. وفى هذا العمر ارتقت المدارس الأولية كما انتشرت مدارس تعليم اللغة اللاتينية واليونانية. وكانت المدارس اللغوية تدرس الفنون السبعة الحرة. وهى قواعد النحو والبيان والمناظرة والحساب والهندسة والموسيقى والفلك. هذا بالإضافة إلى علوم الطب وفنون العمارة.

غلب الطابع العملى على الدراسة فلم تدخل فى مناهج الألعاب الرياضية أو الرقص. إذ كانت الألعاب تتصل بالتدريب العسكرى بينما يمارس الرقص فى المنزل. كما انتشرت مدارس البيان. فقد كان لفن الخطابة أثر عظيم فهو التطبيق العملى لكل مظهر من مظاهر الثقافة الراقية. فالمقدرة الخطابية لدى الرومان كانت تمثل الطرق المختلفة التى يستطيع بها الرجل المتعلم فى عصرنا الحديث أن يكرس معلوماته لخدمة مواطنيه، فقد كان كبار محاربيهم من كبار الخطباء. وربما كانوا كذلك لمقدرتهم الخطابية. وكانت الخطابة تؤدى بعض الوظائف التى تؤديها حاليا المناظرات القانونية

والصحافة والمحاماة والجامعات. وكان الشباب يلحق بمدارس البيان عند ارتدائه زى الرجال فى سن الخامسة عشرة. وتتوقف مدة الدراسة على ميوله وقدراته وعلى الدراسة التى التحق بها وأما عن الجامعات. فقد أنشأ الأمبراطور " أغسطس " مكتبتين عامتين ثم من بعده الأمبراطور "فسياسيان" (٦٩ - ٧٩م) مكتبة كانت النواة لجامعة روما حتى نمت وسميت " أثينيوم" Antenoeum وكان مجال اهتمامها دراسة القانون والفلسفة ثم أخذ الاباطرة فى تعيين مدرسين للميكانيكا والرياضة والهندسة ما يوضح الاتجاهات العملية للدراسة .

وفى عهد الأمبراطور فسياسيان تقاضى المعلمون مرتباتهم من خزانة الدولة. وصاروا يتمتعون بالامتيازات التى كان يتمتع بها كبار رجال الدولة. كما أعفوا من الضريبة المحلية وضريبة الجيش وواجبات الخدمة العسكرية. وفى عهد الأمبراطور قسطنطين وخلفاؤه أصبحت هذه الامتيازات هى الأساس التى منحت على أساسها امتيازات رجال الدين. كما سمح للمعلمين بتولى أسمى مناصب الدولة. كما صار المعلم وعائلته بمثابة شخصيات مقدسة فكان كل من يلحق بأحدهم الاهانة أو الاعتداء يتعرض لأشد أنواع العقاب.

وبإنحلال الامبراطورية سياسياً واقتصادياً تحلت التربية عن اكساب الإنسان الرومانى المثل العليا والفضائل . وصار اهتمامها منصباً على الثقافة الشكلية الطاهرة. وحين صارت الحكومة أداة لجمع الضرائب صارت الثقافة شكلاً بلا روح حتى سقط المجتمع على أيدى المتبربرين فى القرن السادس. وحين عجزت المدارس عن أداء وظائفها سلكت سبيلها إلى الانقراض. تاركة الثقافة الوثينة تواجه حتفها فى شيخوختها .

وفيما يتصل بالفكر التربوى نجد التاريخ الرومانى قد شهد آراء وأفكار نتجت من خلال عظماء، أمثال شيشرون وكونتليان وبلوتارخ.

ولا جدال أن شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق.م) كان أعظم الخطباء وكتاب النثر قاطبة فى القرن الأخير للجمهورية. وحسبنا دلالة على مكانته أن العمر الذى عاش فيه سمى بعصر شيشرون. وقد احتلت الخطابة مكانتها لأن الطباعة لم تكن معروفة كما لم يكن ميسورا اعداد عدد كاف من النسخ للمؤلفات. وكان من نتيجة تفوق شيشرون فى الخطابة أن تولى منصب القنطية عام ٦٣ ق.م وحتى إذا صاق ذرعا بالسياسة نجده يتجه إلى التأليف والنشر فى عام ٥٥ ق.م. وأصدر كتابه فى الخطابه ويقع فى ثلاثة أجزاء. وفى عام ٤٦ ق.م. أكمل الجزءين الرابع والخامس لكتابة تحت عنوان "بروتس Brutus" والخطيب Orator".

اتفق شيشرون مع السفسطائيين فى تعريف التربية بأنها تدريب الفرد على فن السياسة أى وظائف الدولة، كما قسم الإنسان إلى جسم وعقل ونادى بتكوين الشخصية الإنسانية عن طريق الاهتمام بالجانب العقلى والبدنى فى آن واحد. وقد انتهت حياته بإعدامه فى ٧ ديسمبر من عام ٤٣ق.م.

وثانى المفكرين العظام هو ماركوس فابيلوس كونتليانوس (٣٥ - ٩٠م) الذى ولد بقرية " كالاهورا" من أعمال "وادى الأبرد" باسبانيا عام ٣٥م وكان والده معلماً للبلاغة وصحبه معه إلى روما حيث تعلم وعمل محامياً وما لبث أن تحول إلى تدريس فن الخطابة. وقواعد اللغة والاداب، وقد ألف كتابه معاهد أوضح فيه طريقة تربية الشبيبة الرومانية الراقية .

ويعتقد نتليانوس، التربية لا يمكنها أن تحقق هدفها ما لم تساعدها طبيعة الطفل، كما قارن التربية المنزلية والمدرسية فهاجم الأولى، ونصح كل من أراد تعليم ابنه منزل أن يتخير له أفضل المعلمين وألا انغمس الطفل فى حياة الترف والغرو وشجع الحاق الأطفال بمدارس داخلية لكى يبتعد الطفل عن الرذائل الأسرية نصح المعلمين بتنمية روح المنافسة الشريفة بين التلاميذ، كما أوضح رائد التربوية للعبء. كما هاجم العقاب البدنى لأنه لا يليق إلا بالعبيد عواطف التلميذ إذا كان التلميذ جاف الطباع لا يرتدع بالتوبيخ فإنه بالضرب فيصبح كالعبد لا يؤثر فيه عقاب سواء كان أدبياً أم جسمانياً. والتلميذ ليس فى حاجة إلى الضرب طالما أن معلمه قادر على التأثير فيه . كما أن الطفل يمكنه تعلم مواد كثيرة فى آن واحد. ويجب عليه دراسة ما يريد اتخاذه مهنة له وهو صغير جداً. كما كان يرى أن التربية الحقة نتيجة أمرين متلازمين هما : جهد المعلم والمتعلم. كما طالب التلميذ بأن يجب معلمه وعلومه. وألا يظهر استياءه إذا أوضح له معلمه أخطاءه. كما بين أهمية الخبرة فى عملية التعليم .

وأما ثالث عظماء الفكر الرومانى فهو بلوتارخ (٤٦ - ١٢٠م) وهو يونانى الأصل الف كتاباً اسماه مورالیا Moralia ضمنه آراءه التربوية ويتلخص فى أن أساس الفصيلة هى الطبيعة والعقل والتعود ويقصد بالعقل التعليم وبالتعود كثرة التمرين كذلك حب الشرف والخوف من العقاب. كما نصح بالأنصاف بالحلم وقلة الكلام. كما طالب المرء بألا يندم على صمته بل على كثرة كلامه. كما طالب التلاميذ بالصدق وقال أن الكذب من صفات العبيد كما نصح المعلمين والآباء بمنع الطفل من التفوه بالقبيح. وقال أن اللفظ مثل الفكر كما طالب بتعويد الأطفال على البشاشة ولطف المعامل .

كما أوضح أهمية الفلسفة كوسيلة للتربية لأنها تمكننا من التمييز بين النافع والضار وبين ما هو عدل وظلم. وهاجم العقاب البدنى، وأوضح أهمية المدح والتوبيخ فى عملية التعلم كما طالب الآباء بعدم التسرع فى مطالبه البناء بالقيام بما لا طاقة لهم به وقال " أن الأطفال كالنبات أن روى باعتدال أثمر وأن زاد الماء عن حاجته تلف وتعفن " .

هدفت التربية إلى تكوين المواطن الصالح الذى يعرف واجباته وحقوقه والمتحلى بفصائل الحكمة والشجاعة والمثابرة والأخلاص والعدل وهذه هى الفصائل التى اسست الامبراطورية إذ خيل للرومانى أنه ولد ليحكم.

كان الرومانى مقلداً، فتح الممالك قهراً، وأخذ العلم سلباً لكنه كان يهدف إلى الحصول على عقل سليم فى جسم سليم بعكس اليونانى الذى كان يقصد الحصول على روح جميل فى جسم جميل .